

العنوان:	ابن حزم فى كتابات المستشرقين: سانتشث البرنس Albornoz-Sanchez رينهاردتدوزى Dozy Reinhardt نموذجاً
المصدر:	التراث العربي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	دياب، علي
المجلد/العدد:	ع141، 140
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	ربيع
الصفحات:	5 - 8
رقم MD:	768761
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase, IslamicInfo
مواضيع:	ابن حزم، الاستشراق والمستشرقون، سانتشث البرنس، رينهاردتدوزى
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/768761">http://search.mandumah.com/Record/768761</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

دياب، علي. (2016). ابن حزم فى كتابات المستشرقين: سانتشيث البرنس Albornoz-Sanchez رينهاردتوزى Dozy Reinhardt نموذجاً. التراث العربي، ع141، 140، 5 - 8. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/768761>

إسلوب MLA

دياب، علي. "ابن حزم فى كتابات المستشرقين: سانتشيث البرنس Albornoz-Sanchez رينهاردتوزى" نموذجاً Reinhardt Dozy التراث العربي ع141، 140 (2016): 5 - 8. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/768761>

# ابن حزم في كتابات المستشرقين

سانتش البرنس (Sanchez-Albornoz)

رينهارتدوذي (Reinhardt Dozy)

نموذجاً

أ. د. علي دياب

إن للاستشراق تياراتٍ مختلفةً، يرتدي معظمها ثوب الموضوعية، ولكنها في الواقع تُخفي حقيقتها على المطلِّع عليها، ولا يخلو كثيرٌ من دراسات المستشرقين من ضعف التحليل ونقص الاطلاع، وتزييف الحقائق، وتلخص جهود كثيرٍ منهم في الهجوم على العروبة والإسلام، واتِّهام الجهد الحضاريّ العربيّ بالنمطية وتقليد الأمم السابقة والنقل عنها، ورسم المستشرقون طريق الخلاص للأمة العربية في حذو السلوك الغربيّ، وهذا يعني أنّ الجهد الاستشراقيّ ينصبُّ غالباً— في سياق تزوير الحقائق وإنكار ما قدمته الحضارة العربية للإنسانية، وليس بين المستشرقين من منصفٍ للجهد الحضاريّ العربيّ سوى قليلٍ من أمثال: الإنكليزي السير توماس أرنولد (T. Arnold) والفرنسي بلاشير (Blachere) والألمانية الدكتورة زيغريد هونكه (Sigrid Hunke) وغيرهم.

ونقدّم أنموذجاً لذلك التباين في الموقف الاستشراقي من أحد أعلام الفكر العربي الأندلسي، وهو ابن حزم الشاعر واللغوي والفقير والمؤرخ والسياسي، وهذه الشخصية الغدّة العظيمة أغرت كثيراً من الثقافات بادّعاء انتمائه إليها، فذهب (دوزي) و (جولد تزيهر) إلى أنّ جدّه أو والد جدّه لم يكن عربياً، ولم يولد مسلماً، وإنما اعتنق الإسلام، وأظنّ أنهما استندا في ذلك إلى قول ابن حيان: "فقد عهده الناس حامل الأبوة مولد الأرومة، من عجم لبله، جدّه الأدنى حديث عهد بالإسلام" أما الحميدي فيرى أنّ أصله من الفرس، ويفتخر ابن حزم نفسه بنسبه الفارسي وولائه الأموي حين يقول:

سما بي ساسان ودارا وبعدهم      قريش العلى أعياصها والعنابسُ  
فما أخرت حرباً مراتب سؤددي      ولا قعدت بي عن ذرى المجد فارس

وما نودّ إثباته-هنا- هو تنازع الدّراسات الاستشراقية في نسب ابن حزم إلى العرب أو الإسبان، ونذكر في هذا الصدد رأي الفيلسوف الإسباني (أورتيجا إي جاسيت) يقول: "ومن الواضح أنني حين أدعو ابن حزم عربياً إسبانياً، فإنما أنسبه إلى العربية جاداً، وإلى الإسبانية بصورة غير جدية، ودون أن أحول بين الآخرين وبين أن يصنعوا ما يحلو لهم، ولست مستعداً من جانبي أن أغامر فأدعو إسبانيا كل من يولد على أرض شبه الجزيرة الإيبيرية" في حين يناقض المستشرق سانتش البرنس هذا الرأي فيقول: "لا أستطيع أن أوافق أورتيجا فيما وصف فيه ابن حزم من أنه عربيّ إسباني، وأجرؤ على أن أناديه بما هو نقيض لقوله: إسبانيّ متعرب"، ويضيف البرنس: "ليست السلالة أو الأرض إذن هما اللذان صنعا من مؤلف طوق الحمامة إسبانيا، وإنما صاغه التاريخ من طين لبله الإيبيرية ومن دم إيبيري يتدفق عبر حدوده المولدين" ويمضي البرنس في التدليل على إسبانية ابن حزم من شعره، كقوله:

أنا الشمس في أفق العلوم منيرةٌ      ولكنّ عيبي أن مطلعني الغرب

وصحيح ما قاله ابن حزم غير أنّ استنتاج البرنس غير دقيق، فابن حزم يقول ذلك في حسّاده ويحتجّ على انصراف معاصره عما هو أندلسي إلى ما هو مشرقي وكأنّه الأصل وذلك فرعه. ويتكئ البرنس على أقوال ابن حزم في نقد الولاة والفقهاء وذمّ الكذب والدعوة إلى الشّجاعة ورفع الظلم، كقوله: "حدّ الشّجاعة بذل النّفس للموت عن الدّين والحريم وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهزيمة ظلماً في المال والعرض..."

وقوله: "إذا لم يكن بدّ من إغضاب الناس أو إغضاب الله عزّ وجلّ، ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الحقّ فأغضب النّاس ونافرهم، ولا تُغضب ربّك ولا تنافر الحقّ".  
والغريب أنّ البرنس ينظر إلى ابن حزم على أنه إسبانيّ من خلال هذه الأقوال، ويرى في ذلك نزعة (كيخوتية)، نسبة إلى الدّون كيوخوته أو كيشوته بطل رواية سرفانتس، وفات البرنس ما للعقيدة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ من أثرٍ في آراء ابن حزم وهذا النقد في الفكر العربي ليس حكراً على ابن حزم، إذ نجده لدى آخرين، فلو اطّلع البرنس على رسالة ابن عبدون في "آداب الحسبة والمحتسب" لما خلص إلى هذه النتيجة.

ويكشف البرنس عن الموقف الإسبانيّ لابن حزم تجاه الثروة مرتكزاً إلى قول ابن حزم: "وذمّني أيضاً بعض من تعسّف الأمور دون تحقيقٍ بآئي أضيح مالي، وهذه جملة بيانها آئي لا أضيح منه إلا ما كان في حفظه نقص ديني، أو إخلاقٍ عرّضي، أو إغتاب نفسي".

وينسب البرنس هذا إلى ما ناضل به (دون كيوخوته) من احتقارٍ للثروة في مواجهة الشرف ويجهل أو يتجاهل أنّ هذه المواقف مستمدّة من صلب أخلاق الكرم العربيّ في الجاهلية وأخلاق المسلم الصادق في الإسلام، ومن أخلاق الصّحابة الكرام ومن تبعهم ولا علاقة له بما يدّعيه من إسبانية ابن حزم، ولعلّ هذا من أطرف ما استدللّ به البرنس على إسبانية ابن حزم، وفي ذلك يقول البرنس:

"لنذكر أن الملامح النفسيّة التي ينسبها إلى ابن حزم من كتبوا سيرته، والصفحات التي خطّها عليها هو نفسه جانباً من سيرته تؤكد إسبانيته في عمق الشموخ والعاطفة، والعنف وطلاقة اللسان، والوفاء، وتحليق الرّوح نحو الله... والنضال من أجل المثل العليا على نحو ما ناضل دون كيوخوته".  
إننا نوافق البرنس في وصفه لابن حزم، ولكن هل هذا الوصف غريب عن روح العرب والمسلمين أم أنّه في صلب المفاهيم العربيّة والقيم الإسلاميّة؟!.

-وثمة مستشرق آخر هو (رينهارتدوزي) لا يقلُّ رأيه فيما ادّعاه من الانتماء الإسبانيّ لابن حزم عما جاء به البرنس، بل إنّه ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ وقع (دوزي) على نسخةٍ وحيدةٍ من مخطوطة ابن حزم (طوق الحمامة في الألفة والألاف) في مكتبة جامعة ليدن في هولندا، وأفاد منها في كتابة تاريخ الأندلس، ونقل منها نصوصاً في مفهوم ابن حزم للحبّ الخالص الطاهر ثم خلص بعد ذلك إلى رأيٍ غريبٍ من خلال قراءته لعفة ابن حزم في الحب فقال: "...يجب ألا ننسى أن هذا الشاعر الأكثر عفةً، وأكاد أقول الأكثر مسيحيةً بين الشعراء المسلمين، ليس عربياً خالص النسب، إنما هو حفيد إسبانيّ مسيحيّ" وأودّ الإشارة إلى أنّ (دوزي) كان حجّةً في الدراسات الأندلسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبالتالي فإنّ ما افتراه وجد قبولاً كبيراً في أوروبا، وجدير بالذكر

أن هنالك مستشرقاً آخر جاء بعد (دوزي) هو الراهب الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس، خصّ ابن حزم بدراسة تناولت الحبّ الروحيّ العفيف عنده، ونسب هذا الحبّ إلى نزعة مسيحيّة، وإن اختلف مع (دوزي) في أن ابن حزم سرعان ما دخل في حبٍّ آخر لينسى أحزان حبّه الأول، ويذهب بلاثيوس إلى أبعد مما ذهب إليه (دوزي) فيرى أن ظاهرة الحبّ العذريّ العفيف التي ظهرت لدى شعراء بني عذرة ذات أصول مسيحيّة إنجيلية والغريب في هذا أن رأيّه في مرجعيّة الحبّ عند ابن حزم لا يخلو من التناقض، يقول: "إذا كان ثمة أثر من مشاعر مسيحيّة حقيقيّة، يمكن أن ينبض بها قلب ابن حزم، العدو اللدود للعقيدة المسيحية، وللأخلاق الإنجيلية، فليست بالتأكيد المشاعر التي ورثها عن أجداده عبر دمائهم، وإنما التي اكتسبها لا شعورياً" وهذه الآراء مخالفة للواقع، ويعرف (دوزي) و (بلاثيوس) أن مسيحية الإسبان عند الفتح كانت رقيقة هشة وأنّ علم الناس بها كان مشوشاً باستثناء رجال الدين، وإذا كان ابن حزم ينحدر من أصول إسبانية، فمن المرجح أيضاً أن أجداده لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية عند دخول الإسلام، لأنه من المنطقة الفقيرة في جنوب غربي إسبانيا، وغالبية أهلها كانوا من الوثنيين.

- إن هذا كله يتّصل بموقف التّجني على الحضارة العربية في الأندلس، تلك الحضارة التي كانت صلة الوصل بين الوطن العربي وأوربا، واستطاعت أن تنقل المعرفة بضروبها المختلفة، وتنشرها في أصقاع المعمورة الأوربية، ممهّدة الطريق أمام النهضة الأوربية التي وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، والجهد الحضاري الإنساني ما هو إلا حصيلة الجهود المتراكمة للحضارات الكبرى، بمنأى عن التحيز، وازدواجية المعايير في ظل هيمنة القطب الواحد في عصرنا -هذا- وسيطرة القوى الصهيونية وتحكمها في هذا القطب، ليغدو العربي الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه، إرهابياً في ظل هذه المعايير المزدوجة التي تبرر قتل الأطفال الأبرياء، والشيوخ الآمنين بأداةٍ إسرائيلية، وغطاءٍ من القطب الواحد الذي يدّعي النزاهة والحضارة، غير أن هذا كله سحابة صيفٍ ستمضي كغيرها، والحقّ لا بدّ عائد لأهله طال الزمان أم قصر.